الآليات الحجاجية اللغوية عند الزمخشري في تفسيره الكشاف

إعداد

هشام نمر مرعي

باحث دكتوراه- قسم اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة بني سويف

الملخص:

يسعى البحث إلى دراسة الحِجَاج عند الزمخشري في تفسيره الكشاف، متناولًا الحِجَاج اللغوي في خطابه من منظورتداولي، ويبيّن البحث آليات الحجاج اللغوية عند الزمخشري؛ من رو ابط وعوامل وعلاقات حجاجية.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج، الرو ابط، العوامل، العلاقات الحجاجية.

Abstract:

The research aims to examine the argumentation in Al-Zamakhshari's interpretation in Al-Kashaf, focusing on the linguistic argumentation in his discourse from a discursive viewpoint, it explores the linguistic mechanisms of argumentation in al-Zamakhshari's writings, including argumentative links, factors, and relationships.

المقدمة:

الحِجَاج موضوع لافت للانتباه؛ بسبب حضوره الكلي أو الجزئي أو الضمني في مجموعة الخطابات (الفلسفية، الأخلاقية، القضائية، الأدبية، السياسية، السيمائية، اللسانية، الاجتماعية، الفنية)، وله دوره البارز في مقاربة مختلف الخطابات العلمية والإنسانية والثقافية.

وليس الحِجَاج ظاهرة فكرية حديثة؛ وإنما له امتدادات قديمة خاصة عند علماء اليونان والرومان والمسلمين، ويتجلى الحِجَاج واضحًا في ثقافتنا العربية الإسلامية في علم الكلام والفلسفة، وعلم الأصول والنحو والمنطق والخطابة، وقد وضع أساس نظرية الحِجَاج في اللغة اللغوي الفرنسي (أزفالد ديكرو)، وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة (أننا نتكلم عامة بقصد التأثير).

فهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حِجَاجية، وهذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها وفي المعنى، وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية.

فالحِجَاج هو الخاصية الإقناعية في البلاغة الجديدة، جعلت اختيار الحجج يتحدد بعنصرين؛ هما:

أولًا: الانطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي؛ حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج.

ثانيًا: مراعاة المقام؛ وذلك لأن المحاجة لا تتم إلا إذا اعتمدنا على حجج مضادة للحجج التي يركز عليها الخصم في بناء خطابه.

ويُعد الحِجَاج طريقة في التواصل غايته الاستمالة والإقناع والتأثير، ويقوم على بنية لغوية تواصلية تقوم بين طرفين؛ هما: (المتكلم والمتلقي)، وتعتمد في الأساس على الحجَّة التي تهدف إلى الإقناع، ويعد الخطاب القرآني أرقى النصوص الذي يخاطب أصنافًا مختلفة من المتلقين.

ومن ثمّ لا شك في بنيته اللغوية القائمة على الحِجَاج، والقرآن الكريم موضوع دراسة الزمخشري في تفسيره الكشاف؛ ومن ثمّ لا يخلو من البنية اللغوية الحِجَاجية التي ستعالج موضوع البحث.

أهمية الدراسة:

- تأصيل الدرس اللغوي القديم.
- إبراز البعد الحجاجي الذي تمتلكه لغتنا العربية.
- دراسة الحجاج اللغوي عند الزمخشري في تفسيره الكشاف.

أهداف الدراسة:

- استخراج شواهد على الحجاج اللغوي في تفسير الكشاف للزمخشري.
- بيان الحجاج اللغوي عند الزمخشري في تفسيره.
- دراسة الآليات الحجاجية اللغوية (الروابط، العوامل، العلاقات الحجاجية).

الأسس المنهجية للدراسة:

اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الاستقرائي لجمع المادة النظرية للبحث، والاستعانة بمنهج آخر؛ وهو المنهج الوصفي للوقوف على الآليات الحجاجية اللغوية في تفسير الكشاف للزمخشري.

الدراسات السابقة:

سُبقت هذه الدراسة ببعض الأبحاث والدراسات التي قد تلتقي معها في بعض المباحث كالدراسة النظرية، ولكن الدارسة التطبيقية تنفرد بدراسة الحِجَاج اللغوي في تفسير الكشاف، واستخراج الحجاج في خطابه، ودراسة الآليات الحجاجية اللغوية في تفسير الكشاف للزمخشري.

1- آليات الحِجَاج في كتاب (أباطيل وأسمار) لأبي فهر محمود محمد شاكر: دراسة بلاغية تداولية، ماجستير، عيسى مُصطفاوي، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 1441هـ - 2021م.

قسم الباحث بحثه إلى تمهيد وفصلين كل منهما أربعة مباحث؛ الفصل الأول بعنوان: (الدرس الحجاجي ومساراته عند القدماء والمحدثين، والفصل الثاني بعنوان (آليات الحجاج في كتاب أباطيل وأسمار للأستاذ محمود شاكر)؛ وهو الجانب التطبيقي عند الباحث، وقد تناول فيه الآليات البلاغية واللغوية والتداولية في بحثه.

2- آليات الحِجَاج في كتاب وحي القلم لمصطفي صادق الرافعي: الجزء الأول أنموذجًا، رسالة ماجستير، الضامرية مخلوفي، جامعة قاصدي مرباح ورقله، الجزائر،

1438هـ - 2017م.

وقد جاءت الدراسة مقسمة إلى: مقدمة وفصلين وخاتمة؛ فجاء الفصل الأول موسومًا بـ(الحجاج في الدرس التداولي)، ومن خلاله تعرض لمفهوم الحجاج(لغة واصطلاحًا) و أنواعه، كما بيّن العلاقة بينه وبين التداولية، وجاء الفصل الثاني والمعنون بـ(الآليات الحجاجية في كتاب وحي القلم) ؛ حيث تناول فيه الآليات الحجاجية (البلاغية واللغوية والتداولية).

المبحث الأول:
الروابط الحجاجية

كتاب تفسير الكشاف للزمخشري مليء بالروابط الحجاجية التي تظهر في محاجته؛ لإثبات رأي، أو تدعيمه، و إقناع المتلقي به من خلال الحجاج اللغوي، والأمثلة كثيرة، وسوف نعرض للبعض منها؛ لمعرفة الروابط الحجاجية التي اعتمد عليها في كتابه.

فالرابط الحجاجي يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية، أمّا في التصوّر السابق فقد كنّا نقول إنّه يربط بين قولين أو أكثر، أو يربط بين فعلين لغويين اثنين؛ فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالًا لغوية، كما يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة.

وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية، مثل: بل، حتى، إذن، لأن، الواو، الفاء، لكن، ثم، كي، بما أن، مع ذلك، لاسيما، لأن، لام التعليل، لهذا... إلخ، وأدوات العطف والظروف؛ لتؤدي أغراضًا استدلالية حجاجية.

وقد ميز الدكتور أبو بكر العزاوي بين أنماط عدة من الروابط؛ منها:

أ - الروابط المدرجة للحجج: حتى – بل – لكن – مع ذلك – لأن.....

ب- الروابط المدرجة للنتائج: إذن – لهذا – وبالتالي.....

جـ- الروابط التي تدرج حججا قوية: حتى – بل – لكن – لا سيما....

د – روابط التعارض الحجاجي: بل – لكن – مع ذلك....

هـ- روابط التساوق الحجاجي: حتى – لا سيما....

إن العلاقة بين الروابط والحجاج معروفة تمام المعرفة، يُحلل الرابط تقليديًّا على أنه يفتح باب الحجج، و(أن، إذن) يفتحان باب النتائج، ويمكن للتحليل الحجاجي للروابط أن يوسع ليشمل روابط جديدة، ويوَّضح ظواهر جديدة[1]، وليس حسنًا أن نحصرها في روابط محددة.

([1]) ينظر: الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة: عبد القادر المهيري، 120.

وخير ما نبدأ به من الشواهد الحجاجية عنوان البحث (تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، ونبين بالتحليل الآتي حجاجية العنوان:

ح تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل.

رابط الواو.

ح وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

ن الكشف عن مراد الله (سبحانه وتعالى) من قرآنه المجيد كأحوال الألفاظ من مباحث.

القراءات وناسخية الألفاظ ومنسوخيتها وأسباب نزولها إلى غير ذلك فلا يجمعها أحد.

وهناك تسلسلات قولية في العنوان؛ وهي: (الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل)، والرابط (الواو) حرف عطف يربط بين وحدتين دلالتين[1]؛ وهما: (حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل)، ويطابق العنوان متن كتاب تفسير الكشاف؛ فقد نظر صاحبه للقرآن نظرة شمولية ككتلة واحدة، ودرس المعاني وصحتها وتناسبها، ونسق الآيات وترابطها، وفي تأكيد الزمخشري على علمي البيان والمعاني ما يبرز اهتمامه بتفسير وتأويل نظم القرآن.

وننتقل إلى مقدمة الزمخشري في كتابه، ونختار منها ما يأتي لبيان الروابط السائدة عنده:

قال الزمخشري: «أنشأه كتابًا ساطعًا تبيانه، قاطعًا برهانه، وحيًا ناطقًا ببنيات وحجج، قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج، مفتاحًا للمنافع الدينية والدنيوية، مصداقًا لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزًا باقيًا دون كل معجز على وجه كل زمان؛ دائرًا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدى به مصاقع الخطباء، فلم يتصدى للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار سورة منه ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عددًا من رمال الدهناء... وقد جرد لهم الحجة أولًا

(1) ينظر: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ص 29.

والسيف آخرًا فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه فما زخر فطم على الكواكب، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب[1].

وبالنظر في لسان العرب نجد أن معنى (مصاقع): الأصوات العالية، و(البطحاء) هي الحصى الصِّغار، و(الدهناء) موضعٌ كلُّه رمل وقيل: الدهناء موضع من بلاد بني تميم مَسِيرة ثلاثة أَيام لا ماء فيه يُمَدُّ ويقصَر[2]».

وبالنظر إلى الجدول الآتي يتبين لنا الحجج والنتائج والروابط:

ح1	أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، و أبكم به من تحدى به مصاقع الخطباء.
رابط	الواو (مدرجة للحجج).
ح2	فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عددا من رمال الدهناء.
رابط	أو (مدرجة للحجج) عاطفة للتخيير، الواو عاطفة (مدرجة للحجج).
ح3	وقد جرد لهم الحجة أولًا والسيف آخرًا فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه، فما زخر فطم على الكواكب، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب.
رابط	الواو (مدرجة للحجج)، أن (مدرجة للنتائج).
ن	إعجاز القرآن الكريم.

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف، ص 23.

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 8/ 201، 2/ 412، 13/ 160.

ويستهل الزمخشري بتقديم الحجة؛ وهي إفحام الخصوم و إبكام أصوات الخطباء العالية، ثم يعرض بقية الحجج؛ وهي عدم قدرة الفصحاء على الإتيان ولو بآية رغم أنهم أكثر من الحصى، وأوفر من الرمال التي مسيرتها ثلاثة أيام، ولم يستطيعوا الوقوف أمام الحجة فاتجهوا إلى السيف، كل هذه الحجج تؤدي لنتيجة يفصح عنها الكتاب كله: إعجاز القرآن الكريم، فهو حجة الحجج.

وقد تعددت الروابط الحجاجية، فمنها روابط مدرجة للحجج وأدواتها (واو العطف، أو العاطفة التي تفيد التخيير)، وروابط مدرجة للنتائج مثل: (أن).

وننتقل إلى قضية حجاجية أخرى في مقدمة المؤلف:

يقول الزمخشري: «ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وخصهم، وعامتهم عماه عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم.

ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم» [1].

ويظهر من خلال التحليل الآتي الحجج والنتيجة والروابط:

ح1	ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار.
رابط	حرف العطف الواو.
ح2	لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وخصهم، وعامتهم عماه عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم .
رابط	حرف العطف الواو.

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف، ص 23.

ح3	ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم.
رابط	حرف العطف (ثم) يفيد الترتيب والتراخي، ويدرج حججًا قوية. إذن: رابط مدرج للنتائج، وجاء مضمرًا (إذن علم التفسير لا يتم ...).
ن	صعوبة علم التفسير، فـ(علم التفسير لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم).

ويطرح الزمخشري الحجة الأولى، ويبين فيها ما في العلوم من فكر وغوامض وأسرار، مثل: علم التفسير، ثم ينتقل إلى الحجة الثانية مبينًا أن من يكشف عن تلك الأسرار علماء بارعون، وفي الحجة الثالثة لابد أن يكون العالم البارع متبحرًا في شتى العلوم؛ فهو أمام علم يحتاج للتدبر والإحاطة بعلوم شتى مع البراعة والإتقان؛ فعلم التفسير من أجلّ وأصعب العلوم، وقد تخللت الروابط تلك الحجج لتحافظ على تماسك النص والسياق.

ونعرض لقضية أخرى في المقدمة، وهي سبب تأليف تفسير الكشاف:

قال الزمخشري: «(ولقد رأيت) إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب، واستطيروا شوقًا إلى مصنف يضم أطرافًا من ذلك حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل.، فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه واجبة؛ لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم، فضلًا أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان»[1].

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف، ص 23، 24.

ويظهر من خلال التحليل الآتي الحجج والنتيجة والروابط:

ح1	(ولقد رأيت) إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب.
رابط	كلما، قال أبو البقاء: «وفي كل موضع يكون لها جواب فـ (كلما) ظرف، و (كلما) تفيد الكلية» [1]، وهو رابط ظرفي يدرج جواب.
ح2	واستطيروا شوقًا إلى مصنف يضم أطرافًا من ذلك، حتى اجتمعوا إلي مقترحين.
رابط	الواو (مدرج للحجج)، حتى (مدرج للحجج القوية).
ح3	أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل.
رابط	أن (مدرج للنتائج).
ح4	فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه واجبة.
رابط	الفاء، وتأتي عاطفة تفيد الترتيب المتصل معنويًّا، وتأتي للسببية بمعنى لام السببية؛ وذلك إذا كان ما بعدها سببا لما قبلها. [2]
ح5	لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم، فضلًا أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان.
رابط	لأن (مدرج للحجج)، فضلًا أن (رابط التساوق الحجاجي) يعرض الحجج من الأدنى لينتهي بالأقوى، وهناك رابط مضمر (وبالتالي) مدرج للنتائج؛ ومن ثم تأليف تفسير.

(1) الكليات، أبو البقاء، 1/ 1185.

(2) ينظر: نفسه، 1/ 1074.

ن	تأليف تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل.

ويعرض الزمخشري سبب تأليفه لتفسير الكشاف بأسلوب حجاجي شيق، من خلال تفسيره بعض الآيات لإخوانه من المعتزلة، فكانوا يستحسنوه، وبالأخص عندما يبين الحقائق، وكانوا ينتظرون منه كتاب لتفسير القرآن، حتى اقترحوا أن ينشئ لهم تفسيرًا كاملًا، فكان تفسير الكشاف، ويتخلل هذا العرض الكثير من الروابط الحجاجية، مثل: (كلما، الواو، حتى، أن، الفاء، لأن، فضلا أن).

قال الزمخشري: «فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارًا ينتحونه ومثالا يحتذونه»[1].

ويوضح التحليل الآتي الروابط الحجاجية:

ح	فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة.
رابط	الفاء عاطفة تربط بين الحجج.
ح	وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم، وأن يكون لهم منارًا ينتحونه ومثالًا يحتذونه.
رابط	الواو عاطفة (رابط يرتب الحجج ويوصلها ببعضها)، أن (مدرج للنتائج).
ن	يكون لهم منارًا ينتحونه ومثالًا يحتذونه.

خلصنا من التحليل السابق بالكثير من الروابط الحجاجية، مثل: (الفاء، الواو، إنما، أن).

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق:خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف، ص 24.

وقال أبو البقاء: «(إنما) بالكسر للحصر أوجب و(أنما) بالفتح للحصر أيضًا؛ لأنها فرع عنها وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه، والأصل عدمه، وموجب الحصر موجود فيهما؛ وهو تضمن معنى (ما) و(إلا) أو اجتماع حرفي التأكيد» [1].

وتفسير الكشاف زاخر بالحجاج، ونذكر بعض الروابط الحجاجية في تفسير فاتحة الكتاب عند الزمخشري، ومنها كلامه عن التسمية (بسم الله الرحمن الرحيم)، هل هي آية من الفاتحة أم لا؟

فنجده يعرض للآراء المتعددة مع التحاجج لكل رأي، قال الزمخشري: «قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة، ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بدئ بذكر في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة»[2].

ح1	قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة، ولا من غيرها من السور.
رابط	الواو عاطفة (رابط يرتب الحجج ويوصلها ببعضها)، إنما (رابط مدرج للنتائج يفيد الحصر).
ح2	وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بدئ بذكر في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه.
رابط	الواو، ولذلك (رابط مدرج للنتائج)، ويمكن أن يساوي الرابط (إذن) مضمرًا.
ن	ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة.

ومن خلال التحليل السابق يعرض الزمخشري رأي قراء المدينة والبصرة، ويحاجج بصحة قولهم، مقدمًا النتيجة في النهاية، وهي (لا يجهر بها عندهم في الصلاة).

(1) الكليات، أبو البقاء، 1/ 1074.

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 25.

ويحاجج الزمخشري لرأي قراء مكة والكوفة قائلًا: «وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها» (1).

ح	وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله؛ ولذلك يجهرون بها.
رابط	الواو، أنها، ولذلك.
ن	الجهر بالتسمية في سورة الفاتحة وباقي السور.

وننتقل إلى مسألة حجاجية أخرى؛ بغرض بيان الروابط الحجاجية المستخدمة عند الزمخشري، قال الزمخشري: «فإن قلتَ: فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله؟ (أقرأ) قلت: هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلى آخره. وكثير من القرآن على هذا المنهاج، ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمدونه، ويمجدونه، ويعظمونه» (2).

ويتبين من أول وهلة في تفسير الكشاف أسلوب الزمخشري في كتابه، فنجد الزمخشري يطرح افتراضًا وسؤالًا بقوله: فإن قلت؟ ثم يجيب بقوله قلت، وهذا ما يسمى بمنهج (المقاولة) التي هي مفاعلة؛ أي اشتراك بين طرفين أو أكثر. وكل هذا ينم عن وعي الزمخشري بالكثير من المباحث التي تمثل السمة الجوهرية في الدرس اللغوي(3).

وهذا الأسلوب شائع عند الزمخشري؛ وهو حجاجية الأفعال الطلبية (الاستفهام)؛ فالحجاج عنده قائم على سؤال وجواب.

ويبين التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط الحجاجية:

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 25.

(2) نفسه، ص 25.

(3) ينظر: أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري: الكشاف أنموذجًا، دايد عبد القادر، ص 150.

ح	فإن قلتَ: فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركًا باسم الله؟ (أقرأ)
الرابط	فإن قلتَ: (جملة افتراضية)، كيف (أداة غرضها السؤال)، ويدخل تحت حجاجية الطلب (الاستفهام).
ح	قلتُ: هذا مقول على ألسنة العباد، كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلى آخره.
رابط	قلتُ: (جملة استلزام حواري) تبين الجواب، الواو (عاطفة تربط الكلام).
ح	وكثير من القرآن على هذا المنهاج، ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمدونه، ويمجدونه، ويعظمونه
رابط	الواو عاطفة (تربط الكلام)، إذن (رابط مدرج للنتائج مضمر)، إذن معناه تعليم عباده...إلخ
ن	معناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمدونه، ويمجدونه، ويعظمونه

ويخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط، ومن الروابط الاستفهام، والواو، كما ظهر الرابط المضمر (إذن).

قال الزمخشري مناقشًا وصف الله ــ تعالى ــ بالرحمة في التسمية: «فإن قلتَ: ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة، ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها؟ قلتُ: هو مجاز عن إنعامه على عباده؛ لأنّ الملك إذا عطف على رعيته ورقّ لهم أصابهم بمعروفه و إنعامه، كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه» [1].

ويعلق خليل مأمون شيحا على كلام الزمخشري؛ نظرًا لتأثره بالنزعة الاعتزالية في الفقرة السابقة، قائلًا: «قال أحمد رحمه الله: فالرحمة على هذا من صفات الأفعال، ولك أن تفسرها بإرادة الخير، فيرجع إلى صفات الذات، وكلا الأمرين قال به الأشعرية في الرحمة وأمثالها مما لا يصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى، فمنهم من

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 26.

صرفه إلى صفات الذات، ومنهم من صرفه إلى صفة الفعل» [1]. وسوف نهمل الجانب السلبي، ونركز على الجانب الإيجابي في تفسيره.

ويبين التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط الحجاجية:

ح	هو مجاز عن إنعامه على عباده.
رابط	لأن (رابط مدرج للحجج).
ح	عباده لأنّ الملك إذا عطف على رعيته ورقّ لهم. أصابهم بمعروفه وإنعامه.
رابط	إذن (رابط مضمر) مدرج للنتائج، بمعنى: إذن يصيبهم بمعروفه وإنعامه.
ن	أصابهم بمعروفه وإنعامه.
رابط	(كما) تفيد التشبيه والتعليل والتوكيد، وترد بمعنى مثل، وتأتي لاحقة لاسم الإشارة كـ (ذلك، تلك)، وللضمير المنفصل (إياك، إياكما) [2]، وتفيد هنا التعليل، (أنه) رابط مدرج للحجج.
ح	كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه.
رابط	إذن (رابط مضمر) مدرج للنتائج، بمعنى: إذن يمنعهم خيره ومعروفه.
ن	عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه.

وبالنظر إلى التحليل السابق تتحدد الحجج والنتائج والروابط، وقد بينا من تعليق: مأمون خليل في الهامش تأثر الزمخشري بالنزعة الاعتزالية؛ حيث فسر الرحمة أنها من صفات الأفعال مما لا يصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى.

قال الزمخشري مفسرًا لأول سورة البقرة (آلم): «فإن قلتَ: لم قضيت لهذه الألفاظ بالإسمية، وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين؟ قلتُ:

(1) ينظر: نفسه، الهامش، ص 26.

(2) ينظر: الكليات، أبو البقاء، 1/ 1201.

استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف، فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح، وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في أسميتها كالظروف وغيرها بالحروف، مستعملين الحرف في معنى الكلمة، وذلك أن قولك: ألف دلالته على أوسط حروف، قال: وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص، لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين» [1].

وسوف نبين من خلال التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط:

ح	فإن قلتَ: لم قضيت لهذه الألفاظ بالإسمية، وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلتُ: استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف.
رابط	قلتُ: كلمة تدرج بعدها جواب أو نتائج.
ح	فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح، وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في أسميتها كالظروف وغيرها بالحروف، مستعملين الحرف في معنى الكلمة.
رابط	(الفاء) عاطفة تربط بين الحجج، (أن) رابط مدرج للحجج، (الواو) عاطفة تربط بين الحجج.
ح	وذلك أن قولك: ألف دلالته على أوسط حروف، قال: وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص، لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين.
رابط	(الواو)، (أن).
ن	إسمية (الم) أول آية في سورة البقرة.

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 31.

ويفسر الزمخشري (فَلَمَّا أَضَاءَتْ) في قوله ـ تعالى ـ:(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) [البقرة: 17].

قال الزمخشري: «فإن قلتَ: هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)؟ قلتُ: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة، وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا. ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه، وكيف جمعها وكيف ذكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مهمة لا يتراءى فيها شبحان، وهو قوله: (لَا يُبْصِرُونَ)» [1]. وسوف نبين من خلال التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط:

ح	فإن قلتَ: هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)؟
رابط	فإن قلت: الفاء رابط يدرج سؤال، (فإن قلت) جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلتُ: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة.
رابط	قلتُ: لفظ يدرج بعده جواب، لأن رابط يدرج حجج.
ح	وبقاء ما يسمى نورًا، والغرض إزالة النور عنهم رأسًا وطمسه أصلًا.
رابط	الواو عاطفة تربط بين الحجج ، إذن (رابط مضمر يدرج النتائج).
ن	ذهب بنورهم أبلغ من ذهب بضوئهم.

ونخلص من التحليل السابق الحجاج عن طريق السؤال والجواب، وهو أسلوب شائع عند الزمخشري في تفسيره؛ فقد طرح الحجة عن طريق السؤال (هلا قيل ذهب الله بضوئهم)؟ ثم ذكر حجة أخرى (النور أبلغ من الضوء)، ثم يعلل لذلك أن الغرض إزالة النور عنهم رأسًا وطمسه أصلًا، ليصل إلى النتيجة؛ وهي ذهب بنورهم أبلغ من ذهب بضوئهم، وتتخلل الحجج والنتائج روابط؛ منها: الفاء للسؤال (فإن قلت)، (لأن) رابط يدرج حججًا، الواو، وهناك رابط مضمر وهو (إذن)، فنقول: (إذن ذكر النور أبلغ من الضوء).

ونعرض مسألة حجاجية أخرى عند الزمخشري في تفسيره للآيتين الآتيتين:

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 52.

(شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران:17].

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْـلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [آل عمران:18].

قال الزمخشـري: «وقوله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْـلَامُ) جملة مسـتأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلتَ: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلتُ: فائدته أن قوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) توحيد وقوله: (قَائِمًا بِالْقِسْـطِ) تعديل، فإذا أردفه قوله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْـلَامُ) فقد آذن أنّ الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أنّ من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بيّن جلي كما ترى، دين الله هو التوحيد والعدل» [1].

وسوف نبين من خلال التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط:

ح	وقوله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْـلَامُ) جملة مسـتأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلتَ: ما فائدة هذا التوكيد؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج سـؤالا عن المحاجة، قال أبو البقاء: وإذا كان السـؤال قويا يقال (فإن قلت) وجوابه (قلنا) أو (قلت) وقيل: (فإن قلت) بالفاء سؤال عن القريب [2].
ح	قلتُ: فائدته أن قوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) توحيد، وقوله: (قَائِمًا بِالْقِسْطِ) تعديل.
رابط	قلت: لفظ يدرج جواب، (الواو) عاطفة تربط بين الحجج.

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 164، 165.

(2) ينظر: الكليات، أبو البقاء، 1/ 440.

ح	فإذا أردفه قوله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) فقد آذن أنّ الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين.
رابط	الفاء ، الواو.
ح	وفيه أنّ من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بيّن جلي كما ترى.
	الواو، أو ،(كما) تفيد التوكيد، إذن (رابط مضمر يدرج نتائج).
ن	دين الله هو التوحيد والعدل (الإسلام).

ونخلص مما سبق الحجج والنتيجة والروابط الحجاجية أكثرها حروف العطف ك (أو)، و(الواو، الفاء) التي تصل بين أجزاء النص والمكونات الداخلية له[1]، و(كما) المؤكدة للحجة[2]، والرابط (إذن) الذي يأتي مضمرًا مستنتج من الحجاج.

يبين الزمخشري محاججًا لمسألة صرفية؛ وهي الجمع (يتامى) في الآية الكريمة: (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) [النساء: 2].

قال الزمخشري: «فإن قلتَ: كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى؟ قلتُ: فيه وجهان: أن يجمع على يتمى كأسرى؛ لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع، ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى، ويجوز أن يجمع على فعائل؛ لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس، فيقال: يتائم ثم يتامى على القلب» [3].

وسوف نبين من خلال التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط:

ح	فإن قلتَ: كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج سؤالًا عن المحاجة.

(1) ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم، د. سامية الديردي، ص 322.

(2) ينظر: الكليات، أبو البقاء،1/ 1201.

(3) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 215، 216.

ح	قلتُ: فيه وجهان: أن يجمع على يتمى كأسرى؛ لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى، ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس.
رابط	قلت: لفظ يدرج جواب، (أن) رابط يدرج حجج، (لأن) رابط يدرج حجج، (ثم) عاطفة تدرج حجج (وهي تفيد الترتيب والتعقيب) [1]، (الواو)عاطفة تربط الحجج.
ح	فيقال: يتائم ثم يتامى على القلب.
رابط	(الفاء) عاطفة تربط الحجج، وتفيد الترتيب والتعقيب[2].
ن	جواز جمع يتيم على يتامى.

ونخلص مما سبق الحجج والنتائج والروابط، ومنها: (أن، لأن، ثم، الواو، الفاء).

وننتقل إلى مسألة أخرى، قال الزمخشري: «وحق هذا الاسم[3] أن يقع على الصغاروالكبارلبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم و انتصبوا كفاةً يكفلون غيرهم، ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم» [4].

وسوف نبين من خلال التحليل الآتي الحجج والنتائج والروابط:

ح	وحق هذا الاسم أن يقع على الصغاروالكبارلبقاء معنى الانفراد عن الآباء.
رابط	(أن) رابط يدرج حجج، (اللام) رابط يدرج حجج ويفيد التعليل.
ح	إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال.
رابط	(أن) رابط يدرج حجج.
ح	فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم و انتصبوا كفاةً يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم.

(1) ينظر: فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، الشنقيطي،453/1.

(2) ينظر: نفسه،1/ 483.

(3) هذا الاسم المقصود به (يتامى).

(4) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 216.

رابط	(الفاء) رابط يدرج جواب شرط، الواو عاطفة تربط الحجج ببعضها، (إذن) رابط مضمر مستنتج من المحاجة، (إذن اليتيم ما لم يبلغ سن الحُلم).
ن	اليتيم (يتيم الأب) ما لم يبلغ سن الحُلم.

ويكشف التحليل السابق عن الحجج والنتائج والروابط، ومنها: (أن، لام التعليل، الفاء، إذن).

المبحث الثاني:
العوامل الحجاجية

العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي: حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، بوساطة أدوات لغوية، كأدوات القصر، مثل:(ما ... إلا)، وأدوات أخرى، مثل: (ربّما، كاد، تقريب ...) .

وتتمثل في أساليب كأسلوب النفي والقصر الذي يعبر عنهما بمكونات معينة، مثل:(إلا) أو مكونات معجمية تتميز في غالب الأحيان بإحالة غير مباشرة، مثل: (منذ، ربّما، كاد، تقريبًا)، والحصر، والاستثناء، والتوكيد، وهي تعمل وفق مبدأ الاقتضاء، والعامل الحجاجي يختص بقضية ذات موضوع واحد، ولعل النجاعة التي يحققها العامل الحجاجي تكمن إطار ملحته على جواب واحد، وهو مدى يقيده ويحصره ويقاربه إلى المتلقي، وبهذا يحيط العامل بالحجة، ويرفع من فاعليتها الحجاجية.

ومن العوامل الحجاجية التي تسهم في العملية الحجاجية:

- الحصر (ما - إلا)، (لا- إلا): يُفيدُ النفي في اللغة العربية السلب، وهو يؤدي إمَّا بأدوات نافية بسيطة (ما، لم، لن ، ليس) أو بأدوات نافية مركبة تتألف من إحدى هذه الأدوات مع إلا، وفي الخطاب الحجاجي يتجاوز النفي وظائفه النحوية والصرفية ليُصبح إنكارًا.

- عامل النفي الحجاجي (لا): يعد النفي عاملا حجاجيا إذ بواسطته تتحقق الوظيفة الحجاجية للغة، ممثلة في إنكار قضية ودحض رأي أو رد فكرة.

- التكرار: وهو ضمن العوامل الحجاجية، ولكنه ليس التكرار المولد للملل أو للخلل لكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص، فيسمحُ بتوليد بنيات لغوية جديدة، وله أثر جليل في المتلقي؛ حيث يساعده على التبليغ والإفهام ويعي المتكلم على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان.

إن تفسير الكشاف للزمخشري زاخر بالعوامل الحجاجية التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية، وسوف نتناول الكثير من الشواهد التي توضح ذلك.

قال الزمخشـــري في مقدمة كتابه: "اعلم أن متن كل علم وعمود كل صـــناعة طبقات العلماء فيه متدانية، و أقدام الصنَّاع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطًا يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة، و إنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاســتباق و التناضــل، وعظم فيه التفاوت والتفاضــل، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عدّ ألف بواحد، ما في العلوم والصـــناعات من محاســـن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أســـرار، محتجبة وراء أســـتار، لا يكشـــف عنها من الخاصـــة إلا أوحدهم وأخصـــهم، وإلا واســـطتهم وخصـــهم، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم."[1]

ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضـــها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم.[2]

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف، 23.

(2) ينظر نفسه، 23.

ح1	اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية، و أقدام الصنَّاع فيه متقاربة أو متساوية.
رابط	(أن) رابط مدرج لحجج، (الواو) عاطفة تربط الحجج.
ح2	إن سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطًا يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة.
رابط	(أو) عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب.
عامل	التكرار (العالم العالم)، (الصانع الصانع)، (لم – إلا) تفيد الحصر.
ح3	و إنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق و التناضل، وعظم فيه التفاوت والتفاضل، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترق إلى أن عدّ ألف بواحد.
الرابط	(الواو)، (حتى) يربط بين الحجج المتساوقة.
العامل	(إنما) عامل حجاجي يفيد الحصر، قال أبو البقاء: إنما : بالكسر للحصر أوجب (أنما) بالفتح للحصر أيضا لأنها فرع عنها وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه والأصل عدمه وموجب الحصر موجود فيهما وهو تضمن معنى (ما) و(إلا).[1]
ح4	ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار.
رابط	(الواو) عاطفة تربط بين الحجج.
ح5	لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وخصيصهم، وعامتهم عماه عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم .
رابط	(الواو) عاطفة تربط بين الحجج.
العامل	(لا- إلا) تفيد الحصر، (لا) النافية.
ح6	ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم.
رابط	(ثم) عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب وتربط بين الحجج. إذن: رابط مدرج للنتائج، وجاء مضمرًا يستنتج من السياق (إذن علم التفسير لا يتم ...).
ن	صعوبة علم التفسير(علم التفسير لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم).

Activate
Go to Sett

ونستخلص العوامل الحجاجية عند الزمخشري من التحليل السابق؛ وهي: التكرار(العالم العالم، الصانع الصانع)، والحصر بـ (لم – إلا) ، (لا – إلا)، (لا – إلا – إلا) ، والنفي بـ(لا).

(1) ينظر: الكليات، أبو البقاء،1/ 270.

وننتقل إلى جزء آخر في المقدمة، قال الزمخشري: «وقد جرد لهم الحجة أولًا والسيف آخرًا، فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه، فما زخرفطم على الكواكب، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نورالكواكب» [1].

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	وقد جرد لهم الحجة أولًا والسيف آخرًا.
رابط	(الواو).
عامل	(قد) عامل يفيد التوكيد والتحقيق، قال أبو البقاء: كلمة (قد) تثبت المتوقع كما أن (لما) تنفيه وتدل على ثباته إذا دخل على الماضي، وقد التي للتحقيق تدخل على المضارع وعلى الماضي[2].
ح	فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه.
رابط	(الفاء)، (أن).
عامل	(لم - إلا) عامل حجاجي مركب مكون من الأداة (لم) و(إلا) يفيد الحصر، (إن) عامل حجاجي يفيد النفي، (لم) عامل حجاجي يفيد النفي.
ح	فما زخرفطم على الكواكب، وفي اللسان (طمّ) كلُّ مَا كَثُرَ وعَلا حَتَّى غَلَب فَقَدْ طَمَّ يطِمُّ [3].
رابط	(الفاء).
عامل	(ما) عامل حجاجي يفيد النفي، قال الزجاجي:(ما) تأتي للنفي[4].
ح	وأن الشمس قد أشرقت فطمست نورالكواكب.

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف، ص 23.

(2) ينظر: الكليات، أبو البقاء،1/ 1170.

(3)ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 12/ 370.

(4)ينظر: اللامات، الزجاجي،1/ 115.

رابط	(الواو)، (أن)، (الفاء).
عامل	(قد) عامل يفيد التوكيد والتحقيق.
ن	إعجاز القرآن (فهو حجة الحجج).

ونستخلص من التحليل السابق العوامل الحجاجية، ومنها: أدوات بسيطة، مثل: (قد) تفيد التوكيد والتحقيق، و(ما)، (إن)، (لم) أدوات نافية تفيد الحصر، وأدوات مركبة، مثل: (لم - إلا) للحصر، وفي الخطاب الحجاجي يتجاوز النفي وظائفه النحوية والصرفية ليُصبح إنكارًا.

يعد النفي عاملًا حجاجيًّا؛ إذ بوساطته تتحقق الوظيفة الحجاجية للغة، ممثلة في إنكار قضية ودحض رأي أوردّ فكرة، أو تكذيب ادعاء أو هدم تصور بقصد إثبات نقيض ذلك، و إقامة ما يخالفه، وتعد (ما، لا، لم، لما، لن، إن) عوامل حجاجية تفيد النفي، ويقول مهدي المخزومي إن العوامل الحجاجية أسلوب نقض و إنكار يستخدم لنقض ما يتردد في ذهن المخاطب [1].

وقد ناقش الزمخشري قضية مهمة، وهي قضية المحكم والمتشابه في القرآن الكريم مفسرًا لقوله ــ تعالى ــ: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...) [آل عمران:7].

وقال الزمخشري في تفسيره لـ (مُحْكَمَاتٌ): «فإن قلتَ: فهلا كان القرآن كله مُحْكَمًا؟ قلتُ: لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء و إتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ؛ ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة إيقانه»[2].

(1) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص 246.

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 161.

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلتَ: فهلا كان القرآن كله مُحْكَمًا؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج سؤالًا عن المحاجة.
ح	قلتُ: لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به.
رابط	قلت: كلمة تدرج جوابا، (لام التعليل)، (الواو).
عامل	(لو – لـ)، قال أبو البقاء عن (لو): وقد يكون جوابها جملة اسمية مقرونة بالفاء وإن كان الأصل أن تكون مقرونة باللام [1]، (لا – إلا).
ح	ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله.
رابط	(الواو) عاطفة تربط بين الحجج.
ح	ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة إيقانه [2].
رابط	(الواو)، (الفاء) حرفا العطف يربطان بين الحجج،(لأن) رابط مدرج للحجج.
عامل	(لا) عامل حجاجي يفيد النفي.
ن	القرآن محكم واضح ومتشابه للتأمل والتدبر.

(1)ينظر: الكليات، أبو البقاء،1/ 1256.

(2) ينظر: الكليات، أبو البقاء،1/ 1256.

ونستخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط والعوامل، ومن العوامل (لو – لـ) و(لم - إلا) أدوات مركبة لحصروتقييد الإمكانيات الحجاجية، وعامل النفي (لا).

وننتقل إلى إضاءة أخرى في قوله .تعالى :

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) [البقرة: 17].

قال الزمخشري: «فإن قلتَ: هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)؟ قلتُ: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة، وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النورعنهم رأسا وطمسه أصلا. ألا ترى كيف ذكرعقيبه (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) والظلمة عبارة عن عدم النورو انطماسه، وكيف جمعها وكيف ذكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان، وهو قوله: (لَا يُبْصِرُونَ)» [1].

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلتَ: هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله (فَلَمَّا أَضَاءَتْ)؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلتُ: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة.
رابط	قلتُ: كلمة تدرج بعدها جواب، (لأن) رابط يدرج حجج.
ح	وبقاء ما يسمى نورًا، والغرض إزالة النورعنهم رأسًا وطمسه أصلًا.
رابط	(الواو) عاطفة تربط بين الحجج.
ح	ألا ترى كيف ذكرعقيبه (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) والظلمة عبارة عن عدم النورو انطماسه، وكيف جمعها وكيف ذكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان، وهو قوله: (لَا يُبْصِرُونَ).

(1)الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 52.

عامل	ألا، فحرفٌ معناه التنبيه، نحو قولك: (ألَا زيدٌ قائم)، و(ألا إن زيدًا قائم)، وهي مركّبة من الهمزة و (لا) النافية، مغيَّرةً عن معناها الأولِ إلى التنبيه [1]. (أنها) عامل حجاجي يفيد الحصر، (لا) عامل حجاجي يفيد النفي.
ن	ذكر بـ (نورهم) أبلغ من بـ (ضوئهم).

ونستخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط والعوامل، ومن العوامل (أنها) تفيد الحصر، و(لا) عامل حجاجي يفيد النفي، و(ألا) عامل حجاجي يفيد التوكيد.

قال الألوسي عن (ألا)، وفيها: مسلك الاستئناف المؤدي إلى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع مع تأكيد الحكم وتحقيقه (بأن، وألا) بناءً على تركبها من همزة الاستفهام الإنكاري الذي هو نفي معنى و(لا) النافية فهو نفي نفي، فيفيد الإثبات بطريق برهاني أبلغ من غيره ولإفادتها التحقيق[2].

قال الله ـ تعالى ـ: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس: 62]، وهي مركّبة من الهمزة و (لا) النافية، مغيَّرةً عن معناها الأولِ إلى التنبيه[3].

وقد استخدم الزمخشري مع (ألا تري) الاستفهام بأحد أدواته (كيف)؛ ليجعل القارئ يفكر ويتأمل ويقتنع بالحجة ويذعن بالتسليم بها.

وننتقل إلى أحجية أخرى من أحاجي الزمخشري في قوله .تعالى :

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [آل عمران: 181].

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف قال: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ)، ثم قال: (سَنَكْتُبُ) وهلا قيل: ولقد كتبنا؟

قلت: ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم، ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى: لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه، كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء

(1) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، تقديم: إميل بديع يعقوب، 43/5.

(2) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،161/1.

(3) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، تقديم إميل بديع يعقوب، 43/5.

قرينة له إيذانا بأنهما في العِظَم إخوان، وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق، وأنّ من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول» [1].

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلت: كيف قال: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ) ثم قال: (سَنَكْتُبُ)، وهلا قيل: ولقد كتبنا؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة، وكيف: هي للسؤال عن الحال، كما قال سيبويه، بينما اعترض ابن هشام؛ فالاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى، مثل: كالتعجب والاستنكار والتوبيخ والنفي والتحذير والنهي والتنبيه والتهكم والاستبعاد والتعظيم والتهويل [2].
ح	قلت: ذكر وجود السماع أولًا مؤكدًا بالقسم، ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى: لن يفوتنا أبدًا إثباته وتدوينه.
رابط	قلت: كلمة تدرج بعدها جواب، (ثم) عاطفة تربط بين الحجج، وتفيد الترتيب والتعقيب.
عامل	(لن) عامل حجاجي بسيط يفيد النفي، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما حقيقة (لن) في باب النفي؟ قلت: لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيدًا وتشديدًا» [3].
ح	كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانًا بأنهما في العِظَم إخوان، وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق.
رابط	(كما) تفيد التوكيد، (الواو) عاطفة تربط بين الحجج، (أن) و (أنهم) مدرجان للحجج.

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 209.

(2) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرّائي، 4/ 257. 261.

(3) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 61.

عامل	(ليس) عامل حجاجي بسيط يفيد النفي، تدخل على الإسمية فتنفيها، وتكون لنفي الحال عند الاطلاق، وقد تكون للمضي، والاستقبال، والاستمرار[1].
ح	وأنّ من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول.
رابط	(أنّ) رابط مدرج للحجج.
عامل	(لم) عامل حجاجي بسيط يفيد النفي، وتختص بنفي المضارع وتقلب زمنه ماضيًا [2].
ن	(سنكتب) أبلغ من (كتبنا)؛ لأنها تفيد الوعيد.

ونستخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط والعوامل، ومن العوامل: (لن، ليس، لم) تفيد النفي.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) [الأنعام:1].

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم أفرد النور؟ قلت: للقصد إلى الجنس كقوله ـ تعالى ـ: (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) [الحاقة: 17]، أو لأن الظلمات كثيرة، لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام، إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور فأنه من جنس واحد وهو النار» [3].

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلت: لم أفرد النور؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلت: للقصد إلى الجنس كقوله ـ تعالى ـ: (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) الحاقة/ 17 أو لأن الظلمات كثيرة؛ لأنه ما من جنس من أجناس

(1) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرّائي، 190/4.

(2) ينظر: نفسه، 4/ 8.

(3) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 318.

	الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة بخلاف النور فأنه من جنس واحد وهو النار.
رابط	قلت: كلمة تدرج بعدها جواب، (كـ) الكاف تفيد التشبيه، ولها معان أخرى، منها: التعليل والاستعلاء وزائدة تفيد التوكيد [1]، (أو) عاطفة تفيد التخيير، (لأن) و(لأنه) مدرجان للحجج، (الواو) عاطفة تربط بين الحجج، (إذن) رابط مضمر مستنتج من السياق.
عامل	(ما- إلا) عامل حجاجي مركب يفيد حصروتقييد الإمكانيات الحجاجية.
ن	النور جنس واحد والظلمات كثيرة.

ونستخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط والعوامل، ومن العوامل (ما- إلا) عامل حجاجي مركب يفيد حصروتقييد الإمكانيات الحجاجية.

(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) [الأنعام: 78]؛ قال الزمخشري:«فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله (هذا ربي) والإشارة؟ قلت: جعل المبتدأ، مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم: ما جاءت حاجتك؟ ومن كانت أمك؟ و(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: 23]، وكان اختيار هذه الطريقة واجبًا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث» [2].

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله (هذا ربي) والإشارة؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم: ما جاءت حاجتك؟ ومن كانت أمك؟ و(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: 23].

1) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرّائي، 60/3.

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، 335.

رابط	قلت: كلمة تدرج جواب، (كـــ) ســبق ذكرها، (الواو) عاطفة تربط بين الحجج.
ح	وكان اختيار هذه الطريقة واجبًا لصـيانة الرب عن شـبهة التأنيث؛ ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة، وإن كان العلامة أبلغ احترازًا من علامة التأنيث.
رابط	(الواو).
عامل	(ألا) مركّبة من الهمزة و(لا) النافية، وهي مغيَّرةً عن معناها الأولِ إلى التنبيه والتوكيد، (لم) عامل حجاجي يفيد النفي، و(إن) تفيد التوكيد.
ن	تنزيه الربّ عن الإشارة بالتأنيث.

(قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) [الأنعام: 150].

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرج ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم؟ قلت: أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر، ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء، لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به، وقوله: (فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) يعني: فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم؛ لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع لهوى لا غير؛ لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى» [1]. وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلت: كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرج ما زعموه محرمًا، ثم أمره بأن لا يشهد معهم؟

1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 351.

رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
عامل	(لا) عامل حجاجي بسيط يفيد النفي.
ح	قلت: أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر، ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء؛ لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به.
رابط	قلت: كلمة تدرج جواب، (الواو)، (أنهم)، (لام التعليل).
عامل	ليسوا عامل حجاجي يفيد النفي، (لا – ما) عامل حجاجي مركب يفيد القصر.
ح	وقوله: (فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) يعني: فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم؛ لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدًا منهم.
رابط	(الفاء)، (لأنه).
عامل	(لا – ما) عامل حجاجي مركب يفيد القصر، (لا) عامل حجاجي يفيد النفي.
ح	(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) من وضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع لهوى لا غير؛ لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقًا بالآيات موحدًا لله تعالى.
رابط	(أن)، (لأنه) رابطان مدرجان للحجج.
عامل	(لم – إلا) عامل حجاجي مركب يفيد القصر.
ن	بطلان حججهم الواهية وظهور كذبهم.

ونستخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط والعوامل، ومن العوامل البسيطة التي تفيد النفي، و(لا – ما) عامل حجاجي مركب يفيد حصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية، و(لم – إلا) عامل حجاجي مركب يفيد الحصر والقصر.

وقد استخدم الزمخشري العامل الحجاجي المركب من (لا يرجعون إلى - ما يصح التمسك به)، فـ (لا) للنفي، و(ما) جاء بعدها الفعل المضارع تفيد الحال، كما استخدمها الماضي في (فلا تسلم لهم- ما شهدوا به) ، و(ما) جاء بعدها الفعل الماضي لتكون ظرفية زمانية [1].

وننتقل إلى لفتة أخرى في قوله .تعالى :

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) [يوسف: 42]؛ قال الزمخشري:«فإن قلتَ: كيف يقدر الشيطان على الإنساء؟ قلتُ: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عزوجل (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) [البقرة: 106]» [2]. وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلتَ: كيف يقدر الشيطان على الإنساء؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلتُ: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عزوجلّ.
رابط	قلت: كلمة تدرج جواب، (حتى) رابط التساوق الحجاجي، وتبدأ من الحجة الأدنى إلى الأعلى (يذهب عنه)، و(يزل عن قلبه ذكره).
عامل	(لا – إلا) عامل حجاجي مركب يفيد القصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية.
ن	الإنساء بيد الله تعالى.

ونستخلص من التحليل السابق الحجج والنتيجة والروابط والعوامل: ومنها (لا – إلا) عامل حجاجي مركب يفيد القصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية.

(1) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرّائي، 3/157 .158.

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، ص 516.

وننتقل إلى لفتة أخرى في قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَاءً فَسَـالَتْ أَوْدِيَةٌ ...) الرعد/ 17

قال الزمخشـري:" فإن قلت: لم نكرت الأودية؟ قلت: لأن المطر لا يأتي إلا لإنكار على طريق المناوبة بين البقاع فسيل بعض أودية الأرض من دون بعض."[1]

وسوف نوضح الحجج والروابط والعوامل الحجاجية من خلال التحليل الآتي:

ح	فإن قلت: لم نكرت الأودية؟
رابط	فإن قلت: جملة تدرج بعدها استفهام غرضه السؤال لعمل المحاجة.
ح	قلت: لأن المطر لا يأتي إلا لإنكار على طريق المناوبة بين البقاع.
رابط	قلت: كلمة تدرج جواب، (لأن) رابط مدرج للحجج، (بين) ظرف مكان يربط الحجج، قال أبو البقاء: إذا أضيف إلى الزمان فهو ظرف زمان، وإذا أضيف إلى المكان هو ظرف مكان[2].
عامل	(لا – إلا) عامل حجاجي مركب يفيد القصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية.
ح	فسيل بعض أودية الأرض من دون بعض.
رابط	(الفاء) عاطفة تربط بين الحجج، (دون) رابط مدرج للحجج، ظرف مكان منصوب بمعنى: من غير، بلا (هذا الشَّيءُ دون أهميَّة)، غضب (دون، بدون، من دون سبب) (وبالتالي) رابط مدرج للنتائج مستنتج من السياق[3].
ن	تنكير أودية أبلغ من تعريفها.

(1) نفسه، ص 538.

(2) ينظر: الكليات، أبو البقاء، 344/1.

(3) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، 791/1.

قال الدكتور صالح السّامرّائي: «(دون) تكون ظرفًا وغير ظرف، فهي بمعنى حقير، وخسيس، وظرفًا لمعان عدة يجمعها التقريب، مثل: (قبل، أمام، وراء، تحت، فوق، وغيرهم)، واسمًا بمعنى غير وإغراء وأمرًا» [1].

(1) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرّائي، 211/2، 212.

المبحث الثالث:

العلاقات الحجاجية

هي العلاقة التي تجمع بين الحجة والنتيجة، وهي تختلف عن الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي، والأمر نفسه بالنسبة للرّابط الحِجاجي الذي يربط الحجة بالنّتيجة، فقد يكون مصرّحا به، وقد يكون مضمرًا، وأهمّ العلاقات الحِجاجية: (السببيّة، التّتابع، الاقتضاء، الاستنتاج، عدم الاتفاق).

-العلاقة السببية:

تقوم على ربط علاقة بين حجة ونتيجة ربطًا يجعل الحجة سببا للنّتيجة، ومن الشواهد في تفسير الكشاف تفسيره لقوله تعالى: (اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) إبراهيم/2

قال الزمخشري:" ما وجه اتصال قوله: (مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) بالويل؟ قلت: لأن المعنى: أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون: يا ويلاه كقوله: (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) الفرقان/ 13" [1]

ونلاحظ من تفسير الزمخشري للآية الكريمة العلاقة السببية بين الحجة (عذاب شديد)، والنتيجة (الويل)، فـ(الويل)" هو نقيض النجاة، وهو اسم معنى كالهلاك."[2]، ومن شدة العذاب (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) الفرقان/ 13، أي:" هلاكًا" [3]، وتظهر العلاقة السببية بين (العذاب الشديد) الذي ينتج عنه (الويل) أي: الهلاك و(الضجيج) أي: الصياح عند مكروه ومشقة وجزع[4]، فالعذاب الشديد هو سبب هذه النتيجة.

فالعلاقة السببية تكون فيها الأحداث أسبابا لأحداث أخرى، ويسم فعلا ما بأنه نتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفا معينا سببا مباشرا لموقف لاحق.[5]

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 544

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوّى 5/ 2776

(3) جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي3/148

(4) ينظر مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الكجراتي3/ 384

(5) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 327

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) إبراهيم/ 4

قال الزمخشري:" فإن قلت: لِمَ يبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى العرب وحدهم و إنما بعث إلى الناس جميعا، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) الأعراف/ 158 إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة، وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا. قلت: لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة ؛ لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فيقي أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة؛ لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم و انتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهميه، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم، مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد." [1]

وتتضح العلاقة السببية في تفسير الزمخشري للآية الكريمة، حيث إن إرسال نبي الله (محمد صلى الله وسلم) بلسان قومه (حدث) لحدث لآخر يسمى (نتيجة)، وهي أن يكون حجة للعرب، وإرساله للناس جميعا (حدث آخر)، وله (نتيجة) كونه حجة للثقلين، وإعمال التراجم في كل أمة من أمم العجم (حدث) وله (نتيجة)، وهي فهم العجم للسان العرب.

فالعلاقة السببية عبارة سلسلة من العلاقات التتابعية يحرص فيها المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام، بطريقة تجعل الأحداث أسبابا لأحداث أخرى.[2]

كما تظهر العلاقة السببية في تفسير قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) إبراهيم/6

قال الزمخشري:" فإن قلت: في سورة البقرة (يُذَبِّحُونَ) البقرة/ 49، وفي الأعراف (يُقَتِّلُونَ)الأعراف/141، وهنا (وَيُذَبِّحُونَ) مع الواو فما الفرق؟ قلت: الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرًا للعذاب وبيانا له، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 544

(2) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 327

جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر."[1]

وقال ابن عاشور: (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بالعطف على سوء العذاب، وليس قوله: (وَيَسْتَحْيُونَ) مستأنفاً لإتمام تفصيل صنيع فرعون بل هو من جملة البيان أو البدل للعذاب. [2]، فطرح (الواو) قصد به تفسير العذاب وبيانه، والعذاب إن كان المراد به الجنس فالتذبيح لكونه أشد أنواعه عطف عليه.

ونخلص أن طرح (الواو) هنا في (وَيُذَبِّحُونَ) يعتبر (حدث) يتبعه (نتيجة) وهي تفسير العذاب بإثبات التذبيح والدلالة على جنس العذاب.

-علاقة التَّتَابُع:

وهي علاقة تربط القول بما يتبعه، وتسمح باطّراد الحديث في شكل سلسلة كلامية مترابطة الأجزاء.

ومن الشواهد التي توضح علاقة التتابع مقدمة الزمخشري التي يقول فيها:" علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القربة أحفظ، والواعظ و إن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن كان علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان."[3]

ويذكر الزمخشري كلام الجاحظ ومحاجته عن أهمية علمي المعاني والبيان بالنسبة لعلم التفسير فتتضح علاقة التتابع حيث تتابع الأقوال في سلسلة كلامية مترابطة الأجزاء؛ لبيان أن عالِم التفسير لابد له من البراعة في علمي البيان والمعاني مع باقي العلوم الأخرى، فالعلاقة التتابعية" ذات طاقة حجاجية إذ يمكن أن تحتج بتقرير تتابع مستمر في الأحداث."[4]

وننتقل إلى شاهد آخر يبين علاقة التتابع في تفسير الزمخشري لقوله تعالى:

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 545

(2) ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور1/493

(3) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا، مقدمة المؤلف 23.

(4) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 321.

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) الصافات/ 102

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم كان بالمنام دون اليقظة! قلت: كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد رسول صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما."[1]

قدم الزمخشري تتابعًا مستمرًا للأحداث في جوابه عن رؤية إبراهيم (عليه السلام) في المنام بذبح ابنه إسماعيل (عليه السلام)، ويطرح شواهد مشابهة كرؤية يوسف (عليه السلام) سجود إخوته له في المنام، ووعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دخول المسجد الحرام في المنام، والنتيجة المترتبة على تتابع الأحداث هي الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين في المنام كما في اليقظة.

وننتقل إلى شاهد آخر يبين علاقة التتابع في تفسير الزمخشري لقوله تعالى:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء/ 92

قال الزمخشري:" فإن قلت: بم انتصب (خَطَأً) ؟ قلت: بأنه مفعول له، أي من ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده، ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ، وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ، والمعنى: أنّ من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتلًا خطأ، والمعنى: أنّ من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد، بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما، أو يرمي شخصا على أنّه كافر فإذا هو مسلم."[2]

وعلاقة التتابع لا تتم على مستوى الأفعال والأحداث أو الأفكار والمواقف فقط، بل قد يبدو واضحا في مستوى أعمق يتصل بالحجج فيما بينها، فإذا بحجة تقتضي أخرى

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 91.

(2)الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 252: 253

بحيث تؤكد الثانية الأولى وتتجاوب المزاعم.[1]

فقد تتابعت الحجج فيما سبق لتصل إلى نتيجة واحدة، وهي عدم جواز قتل المؤمن لأخيه المؤمن إلا خطًا، وقد طرح احتمالات الخطأ ليؤكد أنه لا يجوز القتل على الإطلاق إلا بوقوع علة أو خطأ.

- علاقة الاقتضاء:

وتجعل الحجة تقتضي النتيجة اقتضاءً، والعكس صحيح، بحيث تغدو العلاقة ضربا من التّلازم بين الحجة والنّتيجة.

وننتقل إلى شاهد آخر يبين علاقة الاقتضاء في تفسير الزمخشري لقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ) الرعد/ 36

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف اتصل قوله: (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ) بما قبله؟ قلت: هو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكارهم له إنكار لعبادة الله وتوحيده، فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به، (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) آل عمران/64، وقرأ نافع في رو اية أبي خليد: ولا أشرك بالرفع على الاستئناف، كأنه قال: و أنا لا أشرك به، ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (إِلَيْهِ أَدْعُو) خصوصا لا أدعو إلى غيره (وَإِلَيْهِ) لا إلى غيره مرجعي و أنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكارهم."[2]

نتبين من تفسير الزمخشري للآية الكريمة السابقة أن الأمر المنزل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن (يعبد الله وعدم الإشراك به) وهي نتيجة لسبب (حجة) وهي إنكار الكفار لما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فالحجة تقتضي النتيجة والعكس، فالإنكار يستدعي التوحيد وعبادة الله تعالى والدعوة إليه، قال القيرو اني: " أي: قل لهم يا محمد: إنما أمرت أن أعبد الله، ولا أشرك به في عبادته."[3]، فهو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به.

(1) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 325

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 542

(3) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، القيرو اني5/ 3749

وتعد علاقة الاقتضاء ذات طاقة حجاجية عالية لأنها ككل علاقة حجاجية تصل الحجة بالنتيجة المرصودة للخطاب، ولكنها تتميز عن كل علاقة بأنها تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاءً ، والعكس صحيح بحيث تغدو العلاقة ضربا من التلازم بين الحجة والنتيجة، وهو ما لا توفره سائر العلاقات حتى السببية منها.[1]

ونتناول شاهدا آخر لعلاقة الاقتضاء في قوله تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) يس/ 28

قال الزمخشري:" فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق، قال تعالى:(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) الأحزاب/ 9 بألف من الملائكة مردفين، بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين؟ قلت: إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمد (صلى الله عليه وسلم) بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والإعذار ما لم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله: (وَمَا أَنْزَلْنَا) (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ): إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك." [2]

و(حبيب النجار) كان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفه عياله ويتصدق بنصفه، فلم يهمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه عن عمل ربه، فلما اجتمع قومه، يعني أهل أنطاكية على قتل الرسل بلغ ذلك حبيباً، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم ، ويذكرهم الله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، وقد قتله قومه، ولما وقع ما وقع منهم مع حبيب النجار، غضب الله له وعجل لهم النقمة، وأهلكهم بالصيحة.[3]

فحجة الإنزال اقتضت نتيجة مضمرة، وهي نصر المؤمنين، ونصر المؤمنين يستدعي الإنزال لأن عددهم كان قليلا، وهذا النوع من العلاقات يضفي نوع من الحتمية على العلاقة بين الحجة والنتيجة، فيحكم الترابط بينها بشكل يوحي إلى أن الأولى تقتضي

(1) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 335

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 893

(3) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، القيرواني6017/9، وينظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القنوجي11/ 285

الثانية، والثانية تستدعي الأولى ضرورة.[1]

كما يوجد علاقة سببية أيضا فيما سبق، فحجة الإنزال تنتج تكريم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على سائر الأنبياء والرسل والصالحين، فقد اجتمعت علاقتين حجاجتين وهما: (علاقة اقتضاء، علاقة سببية).

وننتقل إلى شاهد آخر لعلاقة الاقتضاء في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) إبراهيم/ 30

قال الزمخشري:" فإن قلت: الضلال والإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد، فما معنى اللام؟ قلت: لما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام في قولك: جئتك لتكرمني نتيجة المجيء، دخلته اللام وإن لم يكن غرضا، على طريق التشبيه والتقريب (تَمَتَّعُوا) إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورين به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة، والمعنى : إن دمتم على ما أنتم من الامتثال لأمر الشهوة (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ)."[2]

وتظهر علاقة الاقتضاء في تفسير الزمخشري لمعنى اللام في (لِيُضِلُّوا)، فالضلال نتيجة اتخاذ الأنداد، والضلال يتمثل في الانغماس في الشهوة، والمعنى: إن دمتم على ما أنتم من الامتثال لأمر الشهوة (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ)، فالحجة الامتثال لأمر الشهوة التي هي صورة الضلال والنتيجة دخول النار، فمن أقدر الروابط على توفير علاقة الاقتضاء هي أدوات الشرط المختلفة التي تستخدم في الإقناع والإذعان.[3]، وتتضح في: (إن دمتم على ما أنتم من الامتثال لأمر الشهوة)، (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ).

- علاقة الاستنتاج:

هي علاقة تربط الحجة بالنّتيجة ربطًا يوحي بأن النّتيجة تنشأ من الحجة وتصدرعنها، وقد يقوم المتكلّم بتقديم الحجج، وتترك للمتلقّي النّتائج بعد توجيهه إليها.

ومن الشواهد تفسير قوله تعالى:(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ، قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ)

(1) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 335.

(2) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 552

(3) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 335

الحجر57: 60

قال الزمخشري:" فإن قلت: قوله تعالى:(إلا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع؟ قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا؛ لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال: (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)."[1]

وعلاقة الاستنتاج علاقة منطقية فـ (أ) تقود إلى (ب) وفق تسلسل منطقي أو شبه منطقي، فالمتكلم يستنتج النتيجة من حجة يقدمها، فإذا بنتيجة الخطاب متولدة من رحم الدليل أو البرهان ناشئة عنه عائدة إليه.[2]

وعرض الزمخشري حجتين على أنه استثناء منقطع باعتبار، واستثناء متصل باعتبار آخر، فهو استثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، ونتج عن ذلك استثناء منقطع لـ (آل لوط) من القوم المجرمين، وينتج استثناء متصل من الضمير في (مجرمين) إذا فُسر بأن نقول: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم.

إذن

وبتحليل ما سبق فإن أ ← ب

القوم موصوفون بالإجرام ← استثناء منقطع

الضمير في (مجرمين) ← استثناء متصل

قال الزمخشري:" فإن قلت: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟ قلت: نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قوما مجرمين، ولكن آل لوط أنجيناهم، وأمّا في المتصل: فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصا

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 568

(2) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 339

بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول."[1]

ويختلف المعنى باختلاف الاستثناءين: فـ (آل لوط)

- مخرجون من حكم الإرسال، وإرسال الملائكة للقوم المجرمين خاصة ← استثناء منقطع.

- داخلون في حكم الإرسال، والملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء ← استثناء متصل.

وعلاقة الاستنتاج تظهر في التحليل السابق، فـ (آل لوط) مخرجون من حكم الإرسال إذن استثناء منقطع، و (آل لوط) داخلون في حكم الإرسال مع النجاة إذن استثناء متصل.

قال الزمخشري:" فإن قلت: فقوله: (إِلَّا امْرَأَتَهُ) ممّ استثني؟ وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت: استثني من الضمير المجرور في قوله: لمنجوهم، وليس من الاستثناء في شيء؛ لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثا إلا اثنين إلا واحدة، وفي قول المقر لفلان: عليّ عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهما، فأمّا في الآية فقد اختلف الحكمان؛ لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين، وإلا امرأته قد تعلق بـ منجوهم، فأنّى يكون استثناء من استثناء."[2]

ويعرض الزمخشري أن الاستثناء في (إِلَّا امْرَأَتَهُ) من الضمير المجرور في قوله: (لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ)، فالنجاة كتبت لـ (آل لوط) كلهم إلا امرأته كانت من الكافرين.

إذن

فـ (امرأة لوط) كانت من الكافرين ← ليست من الناجين.

(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) النمل / 36

قال الزمخشري:" فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو: أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح، إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية

(1) الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 568

(2) نفسه 568

مضافة إلى المهدي ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم على إهداء مثلها، ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها."[1]

إن الله تعالى أعطى سليمان (عليه السلام) من الملك والمال والنبوة خير مما أُعطى لبشر، فلم يطمع في مال ولم يفرح به؛ فكانت النتيجة الإضراب عن تلك الهَدِية، حيث أدلى الزمخشري بـ (الحجة)؛ وهي إنعام الله على سليمان (عليه السلام) بالمال والملك والنبوة ؛ فكانت (النتيجة) الإضراب، ويتمثل في عدم فرحه أو طمعه بالهدية كسائر الملوك.

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) القصص/ 7

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت: الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لو اقع وهو فر اقه والإخطار به، فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين."[2]

ويميز الزمخشري بين الخَوْف والحُزْن في علاقة استنتاجية:

إذن

- غمّ يلحق بالإنسان لمتوقع ⟵ خوف

إذن

- غمّ يلحق الإنسان لو اقع وهو فر اقه والإخطار ⟵ حزن

وقد نهى الله تعالى أم موسى (عليه السلام) عن الخوف والحزن، بل وعدها بالحفظ والاصطفاء لموسى (عليه السلام)، وأن يكون من المرسلين، وهذه نتيجة لطاعتها لأمر الله عزّوجلّ.

- علاقة عدم الاتّفاق(التناقض):

وهي علاقة تقوم على عدم الاتّفاق بين حجة يقدّمها المتكلّم، ونتيجة لا تتّفق مع

(1) نفسه783

(2)الكشاف، الزمخشري، تعليق: خليل مأمون شيحا 794

تلك الحجة، مع توجيه للخطاب وللمتلقّي نحو النّتيجة، وبتقبّل النّتيجة ترفض الحجة، ممّا يبرز الخلفية المنطقية لهذه العلاقة.

ومن الشواهد تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) إبراهيم/ 42

قال الزمخشري:" فإن قلت: يتعالى الله عن السهو والغفلة، فكيف يحسبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا)؟قلت: إن كان خطابا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففيه وجهان: أحدهما: التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله: (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الأنعام/ 14، (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) القصص/88 ، كما جاء الأمر في (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) النساء/ 136، والثاني: أنّ المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء، و أنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) البقرة/ 283 يريد الوعيد، ويجوز أن يراد: ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير، وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه." [1]

وتظهر علاقة التناقض من تفسير الزمخشري للآية السابقة، فإذا كان الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فالحجة هي التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا ، والنتيجة إن الله عليم بكل شيء، وبتقبل هذه النتيجة تُرفض الحجة، وإن كان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء، و أنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد، فالنهي حجة وتثبت عن طريقه النتيجة وهي إن الله رقيب يحاسب عباده على القليل والكثير.

وتقول الدكتورة سامية الدريدي أن: هذه العلاقة ذات خليفة منطقية واضحة إذ تدفع أمرا بإثبات تناقضه مع نتيجة الخطاب.[2]

(1) نفسه 555.

(2) ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي 344

الخاتمة والنتائج:

في الختام فقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج، ومنها:

- كتاب تفسير الكشاف للزمخشري زاخر بالآليات الحجاجية اللغوية مثل: الروابط التي تظهر في محاجته لإثبات رأي، أو تدعيمه، و إقناع المتلقي به من خلال الحجاج اللغوي.

- انقسمت الروابط إلى روابط مدرجة للحجج ظاهرة مثل: (الواو، أو، أن، ثم، لأن، إنما، الفاء، حتى، اللام (تفيد التعليل)، كما (تفيد التوكيد) ،(وكذلك)،و(الكاف) تأتي لاحقة لاسم الإشارة كـ (ذلك، تلك)، وجاءت (الفاء) عاطفة تفيد الترتيب المتصل معنويا تربط بين الحجج، و افادت الترتيب والتعقيب، وجاءت رابطا يدرج جواب شرط، وهناك روابط مدرجة للحجج مضمرة تستنتج من السياق، وجاءت الروابط المدرجة للنتائج صريحة ومضمرة، فالصريحة مثل: (لذلك)، والمضمرة كثيرة فُهمت من السياق مثل: إذن، وبالتالي.

- تعددت العوامل الحجاجية التي تسهم في العملية الحجاجية عند الزمخشري، و انقسمت إلى:

- أدوات نافية بسيطة: مثل: (قد) تفيد التوكيد والتحقيق، و(ما)، (إن)، (لم) أدوات نافية تفيد الحصر، ومن العوامل (لن، ليس، لم) تفيد النفي، كما استخدم (لا): يعد النفي عاملا حجاجيا إذ بواسطته تتحقق الوظيفة الحجاجية للغة، ممثلة في إنكار قضية ودحض رأي أو رد فكرة.

- التكرار: وهو ضمن العوامل الحجاجية، ولكنه ليس التكرار المولد للملل أو للخلل لكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص مثل: التكرار(العالم العالم، الصانع الصانع) في مقدمة كتاب الكشاف.

- كما أتى (ألا) عامل حجاجي يفيد التوكيد، وقد استخدمه الزمخشري مع (ألا تري.. كيف؟) الاستفهام بأحد أدواته (كيف) ليجعل القارئ يفكر ويتأمل ويقتنع بالحجة ويذعن بالتسليم بها.

- أدوات حصر مركبة: مثل: الحصر بـ (ما – إلا)، (لا- إلا): فتشترك إحدى الأدوات البسيطة مع إلا، كما استخدم الحصر بـ (لم – إلا)، (لا – إلا)، (لا – إلا – إلا)، ومن العوامل التي استخدمها الزمخشري (لو – لـ) و (لم - إلا) أدوات مركبة لحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية، وهذه الأدوات في الخطاب الحجاجي تتجاوز النفي ووظائفه النحوية والصرفية ليُصبح إنكارا.

- احتوى الحجاج في تفسير الكشاف للزمخشري على جميع العلاقات الحجاجية (السببيّة، التّتابع، الاقتضاء، الاستنتاج، عدم الاتفاق)، وقد دعمت بالشواهد التي توضحها.

فمن أقدر الروابط على توفير علاقة الاقتضاء هي أدوات الشرط المختلفة التي تستخدم في الإقناع والإذعان، وعلاقة الاستنتاج علاقة منطقية فـ (أ) تقود إلى (ب) وفق تسلسل منطقي أو شبه منطقي، فالمتكلم يستنتج النتيجة من حجة يقدمها، فإذا بنتيجة الخطاب متولدة من رحم الدليل، أو البرهان ناشئة عنه عائدة إليه.

المصادر والمراجع:

أولا: مصدر البحث :

- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467هـ - 538هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه د. خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1430هـ - 2009م .

ثانيًا : مراجع البحث :

المراجع العامة :

1- الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام - القاهرة، ط6، 1424 هـ - 2004م.
2- التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1396هـ - 1976م.
3- جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسنى الحسيني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2004م .
4- الحجاج في الشعر العربي القديم، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث تونس، ط1428،1 هـ- 2008م.
5- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
6- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (643هـ) ،قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1422هـ-2001 م.
7- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (1307هـ)، قدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، 1412 هـ - 1992 م.

8- فتح رب البرية في شـــرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشـــنقيطي)، المؤلف (مؤلف الشـــرح): أحمد بن عمر بن مســـاعد الحازمي، الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط1، 1431 هـ - 2010 م.

9- في النحو العربي نقد وتوجيه، د.مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

10- الكليات، معجم في المصـــطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موســـى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م.

11- اللامات، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق ، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر - دمشق، ط1405،2هـ - 1985.

12- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.

13- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط1، 1426هـ - 2006م.

14- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (986هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387 هـ - 1967م.

15- معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرّائي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1420هـ - 2000م.

16- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1429هـ - 2008م.

17- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (437هـ)، تحقيق: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م

الكتب المترجمة:

18- الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة: عبد القادر المهيري، مراجعة: عبد الله صولة، المركز الوطني للترجمة، تونس، 1428هـ - 2008م.

الرسائل العلمية:

19- أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري، الكشاف أنموذجا، داید عبد القادر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 1437هـ - 2017م.